عِبَادِي إِنَّمَا هِي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِك فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ »[9] .

لأنَّ مَجَالَ التَّوْبَةِ لَيْسَ مُتَأَتِّيًا لَكِن مَا دَام العَبْدُ فِي دَارِ العَمَلِ فَإِنَّ الفُرْصَةَ مُوَاتِيَةٌ لَهُ لِأَنْ يَتُوب ويُنِيب وَيَعُود إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ[10] .

فِي بَابِ المُحَاسَبَة للنَّفْسِ يُذْكَرُ فِي تَرْجَمَةِ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ أَنَّه لَوْ قِيلَ لَهُ: إِنَّ مَلَكَ المَوْتِ بِبَابِك (أَيْ: وَصَلَ لِقَبْضِ رُوحِكَ) مَاذَا تُرِيد؟

لَمْ يَكُن عِنْدَهُ مَزِيدُ عَمَلٍ[11]، لِأَنَّهُ فِي كُلِّ الْأُمُور مُنْتَظَم: فِي المُحَافَظَة عَلَيْهَا وَأَدَائِهَا؛ لَكِنْ مِنَ النَّاس لَو قُدِّرَ وَقِيلَ لَهُ:

---

٩. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٥٧٧).

١٠. مِمَّا وَرَدَ مِنْ نُصُوصٍ فِي تَحْدِيد وَقْتِ التَّوْبَة:

- عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ» رَوَاهُ التِّرْمِذِي (٣٨٨٠)، وَابْنُ مَاجه (٤٢٥٣)، وَحَسَّنَهُ الأَلْبَانِي فِي «صَحِيح الجَامع» (١٩٠٣).
- عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوب مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (٢٧٥٩).

١١. ذَكَرَ الإِمَامُ الذَّهَبِي رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِهِ «سِيَر أَعْلَامِ النُّبَلَاء» أَمْثِلَةً كَثِيرَة فِي ذَلِك؛ مِنْهَا:

«قَالَ بُكَيْرُ بْنُ عَامِر رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ لَوْ قِيلَ لِـ(عَبْدالرَّحْمَن بنْ أَبِي نعم): قَدْ تَوَجَّهَ إِلَيْكَ مَلَكُ المَوْتِ مَا كَانَ عِنْدَه زِيَادَةُ عَمَل، وَكَان يَمْكُثُ جُمُعَتَيْن لَا يَأْكُلُ» (٥/ ٦٢).

«عَنْ أَنَس بن عِيَّاض رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: رَأَيْتُ صَفْوَانَ بْن سُلَيْم رَحِمَهُ اللهُ وَلَوْ قِيلَ لَهُ: غَدًا القِيَّامَة، مَا كَانَ عِنْدَهُ مَزِيدٌ عَلَى مَا هُو عَلَيْه مِنَ العِبَادَة» (٥/ ٣٦٦).

«قَالَ هُشَيم رَحِمَهُ اللهُ: كَانَ مَنْصُورُ بْنُ زَاذَان رَحِمَهُ اللهُ لَوْ قِيلَ لَهُ: إِنَّ مَلَكَ المَوْتِ عَلَى البَابِ مَا كَانَ عِنْدَه زِيَادَةٌ فِي العَمَل» (٥/ ٤٤٢).

مَلَكُ المَوْتِ بِبَابِك جَاءَ لِقَبْضِ رُوحِكَ، مَاذَا تُرِيد؟

يَجِدُ أَمَامَهُ أُمُورًا كَثِيرَةً، يَقُولُ: والله عِنْدِي مَظَالِمُ كَثِيرَةٌ.. فِي أَمْوَالٍ لَيْسَتْ لِي أَخَذْتُها، فِي صَلَوَاتٍ مُقَصِّرٌ فِيهَا، فِي أَشْخَاصٍ آذَيْتُهُمْ.. أُرِيدُ طَلَبَ العَفْوِ مِنْهُمْ.. ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ].

أُمُورٌ كَثِيرة يُرِيدُ التَّخَلُّص مِنْهَا فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، لَكِنَّ المَوْتَ يَأْتِي فَجْأَةً، وهُنَا يَظْهَرُ دَوْرُ المُحَاسَبَةِ وَأَهَمِيَّتُهَا فِي حَيَاةِ المُسْلِم[12] .

وَلَا يَزَالُ العَبْدُ بِخَيْرٍ مَا كَانَ مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ، يَنْظُرُ فِي أَعْمَالِهِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا فِي أَيَّامِهِ وَلَيَالِيه، وَيَنْظُرُ النَّظْرَةَ الأُخْرَى فِي مَدَى مُوَافَقَتِهَا لِلْشَّرعِ أَوْ بُعْدِهَا عَنْهُ[13] .

فَالمُوَافِقُ لِلْشَّرْعِ يَحْمَدُ الله تَعَالَى، ويَسْأَلُهُ الثَّبَات، وَالمُخَالِفُ

---

١٢. قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ بْن عَبْد المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ الله فِي كِتَابِهِ «شَرْحُ المَنْظُومَةِ المِيمِيَّة» (ص٢٣٨): «وِمنَ الأَخْطَاءِ الشَّائِعَةِ الدَّعْوَة إِلَى الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالثِّقَةُ تَوَكُّلٌ، بَلْ هِيَ خُلَاصَةُ التَوَكُّلِ وَلُبُّه، وَهُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالله؛ وَفِي الدُّعَاءِ المَأْثُورِ:

«اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»؛ قَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بن إِبْرَاهِيم رَحِمَهُ اللهُ فِي جَوَابِ مَنْ سَأَلَ عَنْ قَوْلِ مَنْ قَالَ: تَجِبُ الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ.

قَالَ: «لَا تَجِبُ وَلَا تَجُوزُ الثِّقَةُ بِالنَّفْسِ، فِي الحَدِيثِ:«فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»«فَتَاوَى وَرَسَائِل الشَّيْخ مُحَمَّد بْنِ إِبْرَاهِيم (١/ ١٧٠)، وانظر «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللهُ» (ص١٨٥)

١٣. قَالَ العَلَّامَةُ حَافِظ حَكَمِي رَحِمَهُ اللهُ:

بالشَّرْعِ زِنْ كُلَّ أمْرٍ ما هَمَمْتَ ... بِهِ فإنْ بَدا صالِحًا أَقْدِمْ ولاتَجِم

وَانْظُر شَرْحَ شَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق البدر لِهَذَا البَيْت «شَرْحُ المَنْظُومَة المِيمِيَّة» (ص٢٣٩)، وَرِسَالَتَهُ «المَقَالَةُ المُفِيدَة شَرْح حَدِيث جَامِعٍ فِي العَقِيدَة» (ص٢٩).

يَبْدَأُ فِي مُجَاهَدَةِ النَّفْسِ فِي البُعْدِ عَنْ ذَلِك، وَالتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّفْسَ تَحْتَاجُ إِلَى جِهَادٍ[14]، وَتَحْتَاجُ إِلَى مُتَابَعَةٍ، وَقَدْ يَجِدُ الإِنْسَانُ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ شَيْئًا مِنَ المَشَقَّةِ وَشَيْئًا مِنَ الصُّعُوبَةِ، وَإِذَا مَضَى مُسْتَعِينًا بِالله، بَلَغَ بِإِذْنِ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَبْلَغًا عَظِيمًا مُبَارَكًا فِي تَزْكِيَتِهِ لِنَفْسِهِ[15].

وَهَذِهِ الكَلِمَاتِ هِي تَذْكِيرٌ لِنَفْسِي وَلِإِخْوَانِي، مِنْ بَاب الذِّكْرَى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٥﴾ [سُورَةُ الذَّارِيَاتِ] .

وَأَسْأَلُ الله عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُصْلِحَ لَنَا دِينَنَا الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِنَا، وَأَنْ يُصْلِحَ لَنَا دُنْيَانَا الَّتِي فِيهَا مَعَاشُنَا، وَأَن يُصْلِحَ لَنَا آخِرَتَنَا الَّتِي فِيهَا مَعَادُنَا، وَأَنْ يَجْعَلَ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لَنَا فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَأَنْ يَجْعَلَ الْمَوْتَ رَاحَةً لَنَا مِنْ كُلِّ شَرٍّ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِينَا، وَلِلْمُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، الأَحْيَاءِ مِنْهم وَالأَمْوَات، إِنَّه تَبَارَك وَتَعَالَى سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ، وَالله تَعَالَى أَعْلَمْ.

وَصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِين.

---

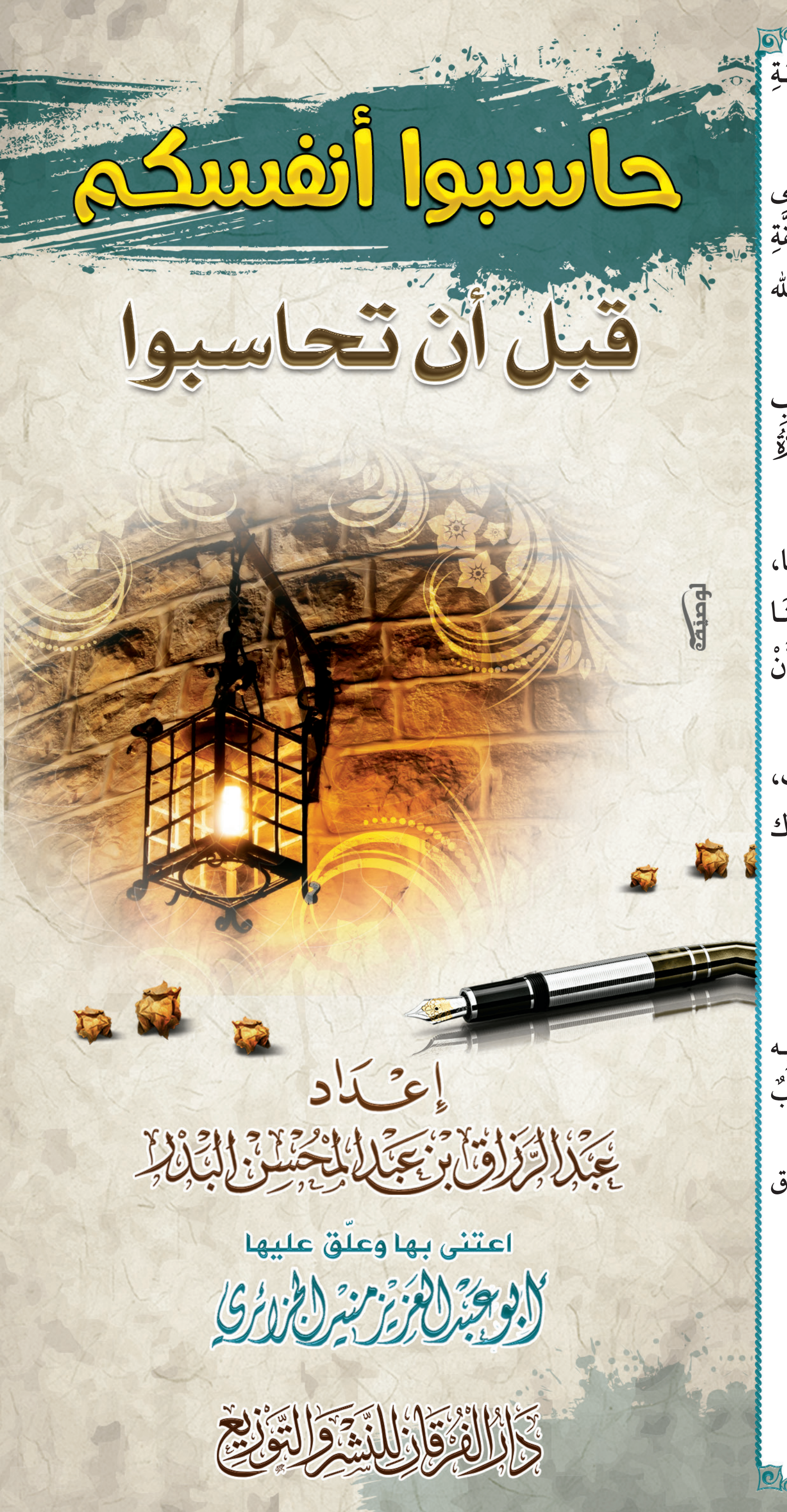
١٤. انْظُرْ كَلَامَ شَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق البَدر عَنْ جِهَادِ النَّفْسِ فِي كِتَابِه «القُطُوفُ الجِيَاد مِنْ حِكَمِ وَأَحْكَامِ الجِهَاد» (ص٦)، وَ«خُطَبٌ وَمَوَاعِظٌ مِنْ حَجَّةِ الوَدَاع» (ص٥٣).

١٥. «العِلْمُ وَأَثَرُهُ فِي تَزْكِيَةِ النُّفُوسِ» (ص ١٩) لِشَيْخِنَا عَبْد الرَّزَّاق البَدْر.

محبكم في الله

أبو عبد العزيز منير الجزائري

abou-abdelaziz@hotmail.fr



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ عَظِيمِ الإِحْسَان، وَاسِعِ الفَضْلِ وَالجُودِ وَالامْتِنَان، أَحْمَدُه سُبْحَانَهُ عَلَى جَزِيلِ نَعْمَائِهِ وَوَافِرِ فَضْلِه وكَرِيمِ عَطَائِه، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الحَقُّ المُبِين، وأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه ورَسُولُه الدَّاعِي إِلَى صِرَاطِ اللهِ المُسْتَقِيم، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِه أَجْمَعِين إِلَى يَوْمِ الدِّين[1].

أَمَّا بَعْدُ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ][2].

١ . هَذِه كَلِمَةٌ مُخْتَصَرَةٌ لِشَيْخِنَا عَبْدِ الرَّزَّاق بْنِ عَبْدِ المُحْسِن البَدْر حَفِظَهُ اللهُ عَنْ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ وَأَهَمِّيَتِهَا وطُرُقِها، أَلْقَاهَا أَثْنَاء زِيَارَتِهِ لِبَلَدِنَا العَزِيزَة الجَزَائِر (وَهْرَان فِي ١٢ جُمَادَى الأُولَى ١٤٣٤ هـ).

فاسْتَأْذَنْتُ الشَّيْخَ فِي تَفْرِيغِهَا مَعَ التَّعْلِيقِ عَلَى بَعْضِ المَوَاضِعِ مِنْها (يَوْم الأَرْبعَاء ٧ جُمَادَى الآخرة ١٤٣٤هـ)، فَمَا كَانَ مِنَ الشَّيْخِ إِلَّا المُوَافقَة فَجَزَاهُ الله خَيْرَ الجَزَاء.

وَسَمَّيْتُهَا «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا»: فَعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ، يَوْمَ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ» رَوَاهُ ابْنُ المُبَارك فِي «الزُّهْد» (٣٠٦)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَة فِي «مُصَنَّفِهِ» (٣٤٤٥٩)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «مُحَاسَبَةِ النَّفْس» (٢)، وَاللهُ المُوَفِّق.

٢ . قَالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَن السَّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «هَذِهِ الآيَةُ الكَرِيمَةُ أَصْلٌ فِي مُحَاسَبَةِ العَبْدِ نَفْسه، وَأَنَّهُ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَفَقَّدَهَا، فَإِنْ رَأَى زَلَلًا تَدَارَكَهُ بِالإِقْلَاعِ عَنْه، وَالتَّوبَةِ النَّصُوحِ، وَالإِعْرَاضِ عَنْ الأَسْبَاب المُوصِلَةِ إِلَيْه، وَإِنْ رَأَى نَفْسَهُ مُقَصِّرًا فِي أَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ الله، بَذَلَ جُهْدَه وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ فِي تَكْمِيلِهِ وَتَتْمِيمِه، وَإِتْقَانِه، وَيُقَايِسَ بَيْنَ مِنَنِ اللهِ عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِ وَبَيْنَ تَقْصِيرِهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ لَهُ الحَيَاءَ بِلَا مَحَالَة» «تَيْسِيرُ الكَرِيمِ الرَّحْمَنِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ المَنَّان» (ص ٨٥٣).

فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ أَعْظَمُ حَثٍّ عَلَى مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، بَلْ إِنَّها مِنْ أَعْظَمِ الآيَاتِ فِي هَذَا البَاب.

وَأَنْفَعُ مَا تَكُونُ المُحَاسَبَةُ لِلْنَّفْسِ بِأَنْ يُذَكِّر المَرْءُ نَفْسَهُ مَاذَا أَعَدَّ لِغَدٍ: ﴿وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾.

تَنْظُرُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ أَيَّ شَيْءٍ قَدَّمَتْ لَهُ.

وَهَذَا الغَد[3] بِالنِّسْبَةِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَمْرُهُ مَجْهُولٌ، قَدْ يَكُونُ الغَدُ المَذْكُورُ فِي الآيَةِ يَأْتِي الإِنْسَانَ بَعْدَ يَوْم، وَقَدْ يَكُونُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْدَ شَهْرٍ، وَقَدْ يَكُونُ بَعْدَ شَهْرَيْنِ أَوْ سَنَةٍ أَوْ أَكْثَر... أَمْرٌ لَا يَعْلَمُهُ الإِنْسَانُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [سُورَةُ لُقْمَانَ].

وَلِهَذَا فَإِنَّ مِنْ تَمَامِ مُحَاسَبَةِ النَّفْسِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِتَقْوَى الله[4] أَنْ يُحَقِّقَ مَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ: «عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ».

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ،

٣ . «قِيلَ: ذَكَرَ الغَدَ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ السَّاعَةَ قَرِيبَةٌ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ: وَإِنَّ غَدًا لِلنَّاظِرِين قَرِيبٌ.

وَقَالَ الحَسَنُ وَقَتَادَةُ: قَرَّبَ السَّاعَةَ حَتَّى جَعَلَهَا كَغَد، وَلَا شَكَّ أَنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيب؛ وَالمَوْتُ لَا مَحَالَةَ آتٍ» «الجَامِعُ لِأَحْكَامِ القُرْآن» (١٨/ ٤٣).

٤ . قَالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ الأَمِينِ الشَّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللهُ: «فِي هَذِهِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ (أَيْ: [سُورَةُ الحَشْرِ :١٨]) حَثٌّ عَلَى تَقْوَى اللهِ فِي الجُمْلَةِ، وَاقْتَرَنَتْ بِالحَثِّ عَلَى النَّظَرِ وَالتَّأَمُّلِ فِيمَا قَدَّمَتْ كُلُّ نَفْسٍ لِغَد، وَتَكَرَّرَ الأَمْرُ فِيهَا بِتَقْوَى اللهِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ الاهْتِمَام وَالعِنَايَةِ بِتَقْوَى الله» «أَضْوَاءُ البَيَان فِي إِيضَاحِ القُرْآن بِالقُرْآن» (٨/ ٤٩).

وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»[5].

وَبِهَذِهِ المُحَاسَبَةِ الدَّقِيقَةِ لِلْنَّفْسِ[6]، عَمَلًا بِالطَّاعَاتِ وَتَجَنُّبًا لِلْمَنْهِيَّات يَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ تَزَوَّدَ بِخَيْرِ زَادٍ وَهُوَ التَّقْوَى، كَمَا وَرَدَ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ].

وَالمُحَاسَبَةُ لِلنَّفْسِ تَكُونُ بِنَظَرِ العَبْدِ إِلَى أَعْمَالِه الَّتِي يَقُومُ بِهَا فِي أَيَّامِه وَلَيَالِيه، وَهَلْ هَذِه الأَعْمَالُ يَسُرُّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَا أَمْ لَا؟

فَيَنظُرُ إِلَى أَعْمَالِهِ بدْءً بِفَرَائِضِ الدِّينِ وَوَاجِبَاتِ الإِسْلَام، وَأَيْضًا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالمَنْهِيَات: الأُمُور الَّتِي حَرَّمَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَرْتَقِي إِلَى الرَّغَائِبِ وَالمُسْتَحَبَّات، لَكِنْ تَكُونُ المُحَاسَبَةُ بِالدَّرَجَةِ الأُولَى فِيمَا

٥ . رَوَاهُ البُخَارِيُّ (٦٤١٦).

قَالَ الإِمَامُ ابْنُ رَجَب رَحِمَهُ اللهُ عَنْ هَذَا الحَدِيث: «وَهَذَا الحَدِيثُ أَصْلٌ فِي قِصَرِ الأَمَلِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَّ المُؤْمِنَ لَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ الدُّنْيَا وَطَنًا وَمَسْكَنًا، فَيَطْمَئِنَّ فِيهَا، وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فِيهَا كَأَنَّهُ عَلَى جَنَاحِ سَفَرٍ: يُهَيِّئُ جِهَازَه لِلرَّحِيلِ» «جَامِعُ العُلُومِ وَالحِكَم» (ص٣٧٩).

٦ . أَمَّا مُحَاسَبَةُ النَّفْس نَوْعان: نَوْعٌ قَبْلَ العَمَل، وَنَوْعٌ بَعْدَه.

فَأَمَّا النَّوْعُ الأَوَّل: فَهُو أَنْ يَقِفَ عِنْدَ أَوَّلِ هَمِّه وَإِرَادَتِهِ، وَلَا يُبَادِرِ بِالعَمَلِ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُجْحَانُهُ عَلَى تَرْكِهِ...

وَأَمَّا النَّوْعُ الثَّانِي: فَهُوَ مُحَاسَبَةُ النَّفْسِ بَعْدَ العَمَلِ وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ :

أَحَدُهَا: مُحَاسَبَتُها عَلَى طَاعَةٍ قَصَّرَتْ فِيهَا مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالى فَلَمْ تُوقِعْهَا عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي..

الثَّانِي: أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى كُلِّ عَمَلٍ كَانَ تَرْكُه خَيْرًا لَهُ مِنْ فِعْلِه.

الثَّالِثُ: أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ عَلَى أَمْرٍ مُبَاحٍ أَوْ مُعْتَادٍ: لِمَ فَعَلَه وَهَلْ أَرَادَ بِهِ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَة فَيَكُون رَابِحًا أَوْ أَرَادَ بِه الدُّنيا وَعَاجِلَها فَيَخْسِر ذَلِكَ الرِّبح وَيُفَوِّتُه الظَّفر بِه» «إِغَاثَةُ اللَّهْفَان» (١/ ٨١) بِاخْتِصَار.

يَتَعَلَّقُ بِوَاجِبَات الدِّينِ وَفَرَائِضِ الإِسْلَام[7].

مِنَ المُحَاسَبَة لِلنَّفْسِ: أَنْ تَنْظُرَ إِلَى صَلَاتِكَ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكَ، هَلْ أَنْتَ تُؤَدِّيها بِشُرُوطِهَا، أَرِكَانِهَا، وَاجِبَاتِهَا، فِي أَوْقَاتِهَا، مَعَ جَمَاعَةِ المُسْلِمِين؟[8]..

تَنْظُرُ فِي وَاجِبَاتِ الدِّينِ الأُخْرَى، تَنْظُر أَيْضًا فِي الأُمُورِ الَّتِي نَهَى اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِبَادَهُ عَنْهَا، هَلْ حَقَّقْتَ المَأْمُورَ فِعْلًا لَه، وَالمَنْهِيَ تَجَنُّبًا وتَرْكًا أَمْ لَدَيْكَ تَقْصِيرٌ وَإِخْلَال؟!

فَإِذَا حَاسَبَ المَرْءُ نَفْسَه ودَقَّق فِي أَعْمَالِه، إِنْ وَجَدَ خَيْرًا يَحْمَدُ اللهَ وَيَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الثَّبَاتَ عَلَيْهِ، وَإِنْ وَجَدَ خِلَافَ ذَلِكَ فَالفُرْصَةُ لَهُ مُوَاتِيَةٌ بِأَنْ يَتُوبَ مَادَامَ هُوَ فِي دَارِ العَمَلِ، أَمَّا يَوْمَ القِيَامَةِ فَقَدْ جَاءَ فِي الحَدِيثِ القُدْسِيِّ: «يَا

٧ . قَالَ شَيْخُنَا عَبْدُ الرَّزَّاق بْن عَبْد المُحْسِن البَدر حَفِظَهُ الله:

«حَاسِبْ نَفْسَكَ فِي بَابِ الأَوَامِرِ وَبَابِ النَّوَاهِي، فِي بَابِ الأَوَامِر؛ اعْرِضْ الأَوَامِر الَّتِي وَرَدَتْ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَى نَفْسِك، هَلْ فَعَلْتَ هَذِهِ الأَوَامِرَ أَمْ لَمْ تَفْعَلْهَا؟

وَفِي بَابِ النَّوَاهِي؛ أَوْقِفْ النَّفْسَ عِنْدَ النَّهْي، هَلْ تَرَكْتَ وَابْتَعَدْتَ عَنْ الأُمُورِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا وَالَّتِي تُوجِبُ العُقُوبَة وَالغَضَب وَالسَّخْط مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى» «شَرْحُ المَنْظُومَة المِيمِيَّة فِي الوَصَايَا وَالآدَاب العِلْمِيَّة» (٢٤٥).

٨ . رَحِمَ اللهُ الإِمَامَ ابْنَ القَيِّم لَمَّا قَالَ: «لَا رَيْبَ أَنَّ الصَّلَاة قُرَّةُ عُيُونِ المُحِبِّين، وَلَذَّةُ أَرْوَاحِ المُوَحِّدِين، وَبُسْتَانُ العَابِدِين، وَلَذَّةُ نُفُوسِ الخَاشِعِين، وَمَحَكُّ أَحْوَالِ الصَّادِقِين، وَمِيزَانُ أَحْوَالِ السَّالِكِين، وَهِيَ رَحْمَةُ اللهِ المُهْدَاة إِلَى عِبَادِهِ المُؤْمِنِين» «أَسْرَارُ الصَّلَاة» (ص٢٢٨).

تَنْبِيهٌ: مَثَّل شَيْخُنَا بِالصَّلَاة لِعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا فِي الإِسْلَام، وَإِنْ كَانَتْ المُحَاسَبَةُ تُنَزَّل عَلَى بَاقِي شَرَائِعِ الإِسْلَام كَمَا بَيَّنَ شَيْخُنَا، وَاللهُ المَوَفِّق.

وَلِشَيْخِنَا كِتَابٌ مَاتِع وَمَصَنَّفٌ نَافِعٌ حَوْلَ مَوْضُوعِ الصَّلَاةِ بِعُنْوَان: «تَعْظِيمُ الصَّلَاةِ».